بسم الله الرحمن الرحيم

بولونيا اول جامعة اوروبية

أ . د . ندى موسى عباس

وحدة الأبحاث المكانية / كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة ديالى

Email : nadaal.mosawi@yahoo.com

WhatsApp: + 964 7740207773

بخضم البحث عن جذور نشأت الجامعات ، وبيان مسار تطورها ، كان أسم جامعة بولونيا اول أسم في تاريخ الجامعات في اوروبا في نهاية العصور الوسطى ، وهي من نتائج عصر النهضة الاوربية ، اذ تعد جامعة بولونيا ***University of Bologna*** أقدم جامعة اوروبية في التاريخ ، بحسب التعريف الحديث للجامعة ، حيث تأسست (باعتقاد أغلب المؤرِّخين) عام 1088 م ، في مدينة بولونيا عاصمة اقليم أميليا بمقاطعة بولونيا بإيطاليا (كرامب ، تراث العصور الوسطى ، ص 366) ، ومن تجربتها وبتقليدها أنشأت باقي الجامعات الاوروبية في فرنسا وانكلترا ، وتفرعت باقي الجامعات في ايطاليا ، وما تزال جامعة بولونيا مستمرة بالعمل حتى اليوم منذ اكثر من عشرة(10) قرون ! كثاني أكبر جامعة في إيطاليا ، بعد جامعة لاسبينزا في روما، اذ يدرس فيها قرابة ألف طالب (100) ، موزعين على 23 كلية مختلفة ، وقد أنشا لها فروع في اربع (4) مدن إيطالية أخرى ، وفي عام 1998 م تمَّ افتتاح فرع جديد لها في بوينس آيرس عاصمة الارجنتين ، وعليه فهي أول جامعة منحت درجة الدكتوراه وذلك عام 1219 م .

وتقع مدينة بولونيا في وسط إيطاليا ويبلغ عدد سكانها اليوم قرابة 400 ألف نسمة، وتعتبر من أكثر المدن الإيطالية تقدُّماً وازدهاراً ، وغالباً ما تصنَّف في مقدمة المدن الإيطالية من حيث مستوى معيشة الأفراد ، وانتخبت في عام 2000 م عاصمةً للثقافة الإيطالية ، ورغم أنَّها تضمُّ العديد من المعالم السياحية والتراثية الهامة ، ولكنَّ جامعتها العريقة تعدُّ أبرز وأهم معالمها على الإطلاق !

ارهاصات التعليم العالي في اوروبا :

أرتبط العلم بالفلاسفة في العصور الكلاسيكية وابرزها كانت مدارس اثينا الفلسفية اليونانية ، وفي بداية العصور الوسطى (العصور الوسطى 5-15م) وورثتها مدارس المسيحية ، عندما انتشرت تعاليم الديانة المسيحية ارتبط التعليم برجال الدين ؛ ففي القرن السادس الميلادي أصبحت الكنيسة بزعامة البابا تمثل الجانب الثقافي ، والتعليمي ، فضلا عن الديني ، فإنشات المدارس اللاتينية (الكاتدرائية) الملحقة بالمؤسسات الدينية (الكاتدرائيات ، والكنائس ، والاديرة) ، وكان هدفها الاساسي هو تخريج رجال الدين (الرهبان ، والقساوسة) ، الذين يخدمون في السلك الكهنوتي

الكنسي للتبشير بالإنجيل ، وتأدية المراسم ، والطقوس الدينية ، القداس المسيحي ، وكانت الكنائس والاديرة منتشرة في كل مدن اوروبا ، واطرافها ، واصقاعها البعيدة !

الا انه ومنذ القرن التاسع الميلادي بدأت الكنيسة تفقد قوة تأثيرها وضعف الاقبال على المدارس الكاتدرائية ، ومدارس الاديرة التي كانت فيما مضى مؤسسات مزدهرة للتعليم الديني فحسب ؛ فقد محت في حينها اي وجود للعلوم الدنيوية ! الا انه وفي القرن الحادي عشر الميلادي ومع اشتداد الاقبال على التعليم ، غدت المدارس القديمة أضيق من ان تتسع للعلوم الجديدة وروحها المتجددة ! فظهرت ما عرف باللاتينية بـ المدرسة العامة ***Stadium general*** ، تميزت بجذبها الطلبة الوافدين بأعداد كبيرة ، من الذين استولى عليهم التعطش الى العلوم الدنيوية (كرامب . تراث العصور الوسطى . ص) حيث قدموا من مختلف انحاء الاقاليم والدول المحيطة بإيطاليا ، لدراسة مختلف انواع التخصصات العلمية (بلصوار . نشأة الجامعات وتطورها . العدد 13 . السنة 2015م .ص185) ، يلقي محاضراتها اساتذة متخصصين اكفاء حصلوا على موافقة السلطتين القضائية والدينية لألقاء المحاضرات (عاشور . الجامعات الاوروبية في العصور الوسطى . ص ص 9ـ10، 14) ؛ فمارسوا التدريس الحر وذاع صيتهم في انحاء اوروبا ، وبدأت هذه المدارس تحمل مفهوم التعليم المتقدم (العالي) بتخصصات مستقلة (القانون ، الطب ، اللاهوت ، الادب ، الفلسفة) ، اذن من المدارس العامة انبثقت الجامعات .

كان مفهوم مصطلح الجامعة ***Universities*** في القرن الحادي عشر الميلادي يعني باللاتينية نقابة (أتحاد) او تجمع او نقابة او رابطة بين عدة افراد يعملون بعمل واحد ، او حرفة واحدة ، فكانت هناك نقابات التجار ، والصناع وبلديات المدن ، ثم بدأت هذه النقابات أو الاتحادات تتضخم وتتوسع ، وتنتشر على نطاق المدن الاوربية ، وكانت هذه النقابات والاتحادات المهنية ، والتجارية تأخذ صفة الشرعية باستقلالها عن حكام المدن ، واصبح نفوذهم لا يقل شأناً عنهم في القوة المعنوية .

في هذه الأثناء كان الاساتذة والطلبة قد بدوءا ينعزلون عن المدارس الدينية المزدحمة بالطلبة ، وقد غدت تضيق بهم وتجمعوا الغرباء منهم بأماكن عرفت باسم " الجامعة " ***Universitas*** ، كمركز للدراسات المتقدمة (العليا) ، وكان حرمها يضم كنيسة ومكتبة ؛ ومن ثم خرجت العلوم والمعارف من الكنائس والاديرة الى المدارس العامة ، ومن بعدها الى الجامعات ، ليتشارك كل من رجال الدين ورجال الثقافة مع اساتذة الجامعات مهمة نشر العلوم الدنيوية (الطب ، والقانون ، واللاهوت ، والفلسفة ، والموسيقى ، والآداب الخ) .

نشوء جامعة بولونيا وسلطتها الادارية :

ما ان لاح القرن الثاني عشر الميلادي حتى بانت في الافق معالم نهضة فكرية ، وعلمية ، وثقافية عامة ، وشاملة ومتنوعة تدعو لخلق مجتمع جديد يتيح لحرية الرأي ، والفكر الحديث ، والعلوم المتجددة ، فكان نتاجها ظهور فكرة الجامعة في اواخر القرون الوسطى وبعصر النهضة تحديدا ؛ وتثبيت مصطلح الجامعة ، بأطلاقه على

نقابة (اتحاد) علمية خاصة برجال العلم (طلبة ، واساتذة) ، لها مباني مستقلة خاصة بها ، ثم أنشأت لها كليات متفرقة ، بأعراف ، وتقاليد ، وعادات خاصة بالجامعة .

كانت بداية الجامعة قد تشكلت من نقابة (اتحاد) ضمت عدة مدارس متوحدة غير رسمية (اهلية) ، تكونت من جمعيات للطلبة الاجانب عرفت باسم بالأمم ***Nations*** ، نظمها الطلبة الاجانب وخصصوها لمساعدة بعضهم لبعضهم ، وكانت تعرف بـ ***Universitates Scholarium*** او ***Scholaer*** ، حيث جمعوا نقاباتهم بحسب جنسياتهم ، لغرض رعاية شؤونهم ، ومصالحهم الخاصة ، وحل مشاكلهم ، وحمايتهم من الوقوع بأخطاء المسائلة القانونية ، بمخالفة قوانين المدينة والتعرض للعقوبات (عاشور ، ص 11) والتي غالبا ما كانت تطبق بشكل جماعي على كل الطلبة من مختلف الجنسيات ! لا سيما عقوبات الجرائم ، والديون لمواطني المدينة وقد حصلت نقابة هذه الجمعيات على حقوق اكبر من حكام مدينة بولونيا ، وأهمها انتهاء العقوبات الجماعية ، وفسح المجال لعقد المفاوضات مع نقابة (اتحاد) الاساتذة والمعلمين او ما عرف ايضا بـ " مجتمع المعلمين والعلماء" (ناصر. نشأة الجامعة وحقولها المعرفية بين الغرب المسيحي والشرق الاسلامي . مجلة جامعة المعارف . العدد الاول . السنة 2020 م . ص 41) ، وكان الطلبة الالمان هم اول من شكلوا لأنفسهم نقابة ، وتبعهم بقية طلاب الجنسيات الاخرى (عاشور ، ص 13) .

حيث نظم الطلبة انفسهم في نقابتهم بانتخاب اثنين منهم لمهمة التفاوض ، فيما تتم الموافقة على القرارات بالتصويت بالأغلبية لتحديد مطالبهم بما يتعلق بـ مواد المحاضرات ، بداية ونهاية الكورسات (الفصول الدراسية) ، وتعيين الاساتذة ، وتحديد اجور (رواتب) الاساتذة ! وكان يحق للطلبة التهديد بالإضرابات من اجل لعقد التفاوض او وقفه ، ومع مرور الوقت قررت النقابة ، ان توحد هذه المدارس بمدرسة واحدة متحدة باتحاد كبير ، لتصبح فيما بعد جامعة !

كانت جامعة بولونيا مؤسسة مستقلة ، لا سيطرة لأي نفوذ ديني او سياسي عليها ! ولكن بعد ان تطورت وأصبح تأثيرها الثقافي والعلمي يهدد كل من الكنيسة والحكومة ، سعيا الاثنين لتحييدها ، ومن ثم التزام تمويلها كي تكونا رعاتها ، (هادي ، نشأة الجامعات وتطورها ، مجلة سلسلة ثقافية جامعية ، جامعة بغداد ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، السنة 2010 م ، ص 7) ؛ في عام 1158 م استطاعت الجامعة ان تحصل على موافقة رسمية من الامبراطور الروماني المقدس فردريك الاول ***Friedrich1*** ملك المانيا (بروسيا) وايطاليا (1155–1190) ، ومن حينها أصبحت لكلا الطرفين الطلبة والاساتذة حريات وامتيازات وحقوق متبادلة !

تخصصت جامعة بولونيا في اول نشأتها بالدراسات القانونية ، منها القانون الكنسي ، والمدني ، وتطور القانون الروماني ، وما تزال هذه المناهج تدرس الى يومنا هذا ، وفيما بعد افتتحت بها كلية اللاهوت (علوم الدين) في عام 1352م (يوسف . نشأة الجامعات في العصور الوسطى . ص 121) ، واختارت الجامعة شعار لها هو

Alma master Studio rum ويعني " الام المغذية للدراسات " ، وكانت الشهادة الوحيدة الممنوحة هي شهادة الدكتوراه .

كانت الحكومة في مدينة بولونيا تتقبل الاعداد الغفيرة التي قد تصل بالألاف من الطلبة المنضوين تحت لواء الجامعة ، لما يعني رواج أسواق المدينة ، ونشاطها الاقتصادي ! وكانت اعمار الطلبة المنتسبين للجامعة ما بين السابعة عشر حتى سن الاربعين عاما تقريبا ! (عاشور ، ص11) .

كان رئيس النقابة (مديرها) هو نفسه رئيس الجامعة ، وصلاحياته مستمدة من قوانين الاتحاد ، وقد اعترفت حكومة المدينة بسلطته ، وهي سلطة تنفيذية بحته تطبق العقوبات على المخالفين من الطلبة الاجانب، وتوقيع الجزائات عليهم ، وهي وفق لائحة النقابة التي هي نفسها لائحة الجامعة (عاشور ، ص 15) .

كان انتخاب رئيس النقابة او الجامعة يتم وفق التصويت المباشر في النقابة ، وكان له مواصفات وشروط هي : ان يكون اعزب ، وان لا يقل عمره عن اربع وعشرين (24) سنة ، وان يكون قد قضى خمسة اعوام في دراسة القانون، وان يكون متدينا ! وكان راتبه فقط من نصف الغرامات على الطلبة المخالفين ، ولذا لم يكن احدا يرغب بالمنصب فضعف وتلاشى ، فيما بقي مجلس الجامعة الذي يضم الطلبة الاجانب حصريا (عاشور ، ص 16) .

وفيما سيطرت نقابة الطلبة على ادارة جامعة بولونيا سيطرة تامة ، حيث ان الطلبة الاجانب وان كانوا محرومين من كافة الحقوق المدنية في مدينة بولونيا ، ولكنهم في الجامعة وبواسطة نقابتهم استطاعوا فرض شروطهم على الطلبة من اهالي بولونيا ، وكذلك على اساتذتهم حيث يدفعون لهم أجورهم (رواتبهم) ، لذا لم يكن الاساتذة سوى محاضرين يستأجرهم الطلاب (عاشور ، ص 11) ، والنقابة هي من وتدفع رواتبهم ويكفي ان يعلن الطلبة المقاطعة لاي استاذ حتى يحرم من راتبه ، كذلك كانت النقابة قادرة على تهديد حكومة المدينة بالهجرة ليتوقف او يتدهور اقتصاد مدينة بولونيا ، في حين كان الطلبة من اهالي المدينة لا يتولون اية وظيفة في الجامعة ، ولا صوت لهم في نقابتها ؛ فهم لا يصوتون ولا يعبرون عن رغباتهم ، وبالتالي لا يقسمون لرئيس الجامعة بالطاعة (عاشور ، ص 13) .

على ان اساتذة الجامعة بقوا بنقابتهم مسيطرين على كل ما يخص امتحانات الطلبة ، والسماح لهم بالتدريس ، أو الدخول في رابطة هيئة التدريس (عاشور ، ص ص 11 ـ 12) ، ان اساتذة الجامعة هم من اهل مدينة بولونيا ، ولذا فان نقابتهم مرتبطة بالحكومة ، وهذا الامر هو سبب منع سيطرتهم او تحكمهم بإدارة الجامعة (عاشور ، ص 14) .

المراجع :

1- بلصوار ، سهيلة ، نشأة الجامعات وتطورها ، مجلة حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والانسانية ، العدد 13 ، السنة 2015م ، الجزائر .

2- عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، الجامعات الاوربية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي،(القاهرة ـ2007م) .

3- كرامب ، ج . و . أ . جاكوب ، تراث العصور الوسطى ، مراجعة الترجمة محمد بدران ومحمد مصطفى زيادة ، مجموعة بحوث مؤسسة سجل العرب . (بلا . مكان ـ 1965م) .

4- ناصر ، فادي . 2020 م . نشأة الجامعة وحقولها المعرفية بين الغرب المسيحي والشرق الاسلامي . مجلة جامعة العرفان . العدد الاول . لبنان .

5- هادي ، رياض عزيز ، نشأة الجامعات وتطورها ، مجلة سلسلة ثقافة جامعية ، جامعة بغداد ، العدد الثاني ، المجلد الثاني ، السنة 2010 م ، بغداد .

6- يوسف ، جوزيف نسيم ، نشأة الجامعات في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، (بيروت ــ1981م) .

****